س: هل صفة (الكلام) ذاتيَّةٌ أو فعليَّةٌ؟

ج: أمَّا باعتبار تعلُّق صفة (الكلام) بذات الله ﷻ وَاتِّصافه تعالى بها فمِن صفات ذاته؛ كـ (عِلمِه) تعالى؛ بل هو مِن عِلمه، وأنزله بِعِلْمه، وهو أعلم بما يُنَزِّل.

وأمَّا باعتبار تكلُّمه بمشيئته وإرادته فصفة فعلٍ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ...**» الحديث.

ولهذا قال السَّلف الصَّالح رحمهم الله تعالى في صفة الكلام: إنَّها صفة ذاتٍ وفِعلٍ مَعًا؛ فالله ﷻ لم يَزَلْ ولا يزال متَّصفًا بالكلام أزلًا وأبدًا، وتكلُّمُه وتكليمُه بمشيئته وإرادته؛ فيتكلَّم إذا شاء متى شاء وكيف شاء بكلامٍ يُسْمِعُه مَن يشاء، وكلامه صِفَتُه لا غايةَ له ولا انتهاءَ.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۞﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان: ٢٧].

﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۞﴾ [الأنعام: ١١٥].

س: من هم الواقِفَة؟ وما حُكمهم؟

ج: الواقِفةُ هم الَّذين يقولون في القرآن: (لا نقول هو كلام الله، ولا نقول مخلوقٌ).

قال الإمام أحمدُ رحمه الله تعالى: «مَن كان منهم يُحسِن الكلامَ فهو جهميٌّ، ومَن كان لا يُحسنُه بل كان جاهلًا جهلًا بسيطًا؛ فهو تُقام عليه الحجَّة بالبيان والبرهان؛ فإن تاب وآمن بأنَّه كلام الله تعالى غير مخلوقٍ، وإلَّا فهو شرٌّ من الجهميَّة».

س: ما حكم مَن قال: (لفظي بالقرآن مخلوقٌ)؟

ج: هذه العبارة لا يجوز إطلاقها نفيًا ولا إثباتًا؛ لأنَّ اللَّفظ معنًى مُشتَرَكٌ بين (التَّلفُّظ) الَّذي هو فِعل العبد، وبين (الملفوظ) به الَّذي هو القرآن.

فإذا أُطلِق القول بِخلْقه شَمِل المعنى الثَّاني، ورجع إلى قول الجهميَّة.

وإذا قيل: (غير مخلوقٍ) شَمِل المعنى الأوَّل الَّذي هو فِعل العبد؛ وهذا مِن بدع الاتِّحاديَّة.

ولهذا قال السَّلف الصَّالح رحمهم الله تعالى: «مَن قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ؛ فهو جهميٌّ، ومَن قال: غير مخلوقٍ؛ فهو مبتدعٌ».